

سلسلة

أشهر النساء

١٠

أشهر الشاعرات

الخنساء أم ذر زوجة أبي ذر
الشيمااء عاتكة بنت زيد

مفتى اقرأ الثقافي

www.igra.afilamontada.com



منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلسلة أشهر النساء

١٠

أشهر الشاعرات

إعداد

شعبان مصطفى قزامل

رقم التسلسل ٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

جميع الحقوق محفوظة

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧
فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣ + هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣ +
algwthani@scs-net.org



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشعرُ هو عُمدةُ الفنون الأدبية، لهُ على الآذانِ تأثيرُهُ الخاصُّ، ويعملُ في النفوسِ عَمَلُ السّحرِ في الأجسادِ، ولذلكَ كانتِ القبيلةُ العربيةُ - قديمًا - إذا ظهرَ فيها شاعرٌ أقامتِ الاحتفالاتِ والولائمَ تقديرًا لهُ وفخرًا بهِ.

والشعرُ منه الجيدُ والقبیحُ، فالقبیحُ هو الشعرُ الذي يثيرُ الغرائزَ والشهواتِ، أو يحملُ هجاءً وسبًا للآخرينِ بغيرِ حقٍّ... أمّا إذا كانَ الشعرُ ترقيةً للمشاعرِ والحسِّ، أو حبًّا في الله ورسوله، أو دفاعًا عن الحقِّ وأهله... فهو شعرٌ جيدٌ، يرضاهُ الله ورسوله والمؤمنون.

وقدُ امتلأتْ كتبُ الأدبِ بالحديثِ عن الشعرِ والشّعراءِ، وفي هذا الكتابِ نتعرفُ على بعضِ النساءِ اللاتي اشتهرنَ بالبلاغةِ والفصاحةِ وقولِ الشعرِ.

*** **

الخنساءُ

اسمها ثُمَاضِرُ بنتُ عَمْرِو بنِ الشريدِ بنِ الحارثِ السُّلَمِيَّةِ، ولُقِّبَتْ بالخنساءِ لِقُنْوٍ (لارتفاعِ وسطِ قَصْبَةِ الأنفِ وضيقِ المنخرِ) في أنفِها. وكانتُ - رضي الله عنها - مثلاً للمرأةِ المسلمةِ الفصيحةِ، والمؤمنةِ المحتسبةِ الصَّابِرةِ، والمربيةِ الفاضلةِ.

أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ امْرَأَةً قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا أَعْلَمَ بِالشَّعْرِ مِنْهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَنْشِدُهَا، وَيَعِجِبُهُ شَعْرُهَا. وَكَانَ أَكْثَرُ شَعْرُهَا وَأَجُودُهُ رِثَاءَهَا لِأَخَوِيهَا: صَخْرَ وَمُعَاوِيَةَ، وَكَانَا قَدْ قُتِلَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ قِيلَ لَهَا يَوْمًا: صِفِي لَنَا أَخَوَيْكَ صَخْرًا وَمُعَاوِيَةَ. فَقَالَتْ: كَانَ صَخْرٌ - وَاللَّهِ - جَنَّةَ الزَّمَانِ الْأَغْبَرِ، وَذَعَاكَ الْخَمِيسِ الْأَحْمَرِ (أَي: شُجَاعًا قَوِيًّا). وَكَانَ - وَاللَّهِ - مُعَاوِيَةُ الْقَائِلُ وَالْفَاعِلُ. فَقِيلَ لَهَا: فَأَيُّهُمَا كَانَ أَسْنَى وَأَفْخَرُ؟ فَقَالَتْ: أَمَّا صَخْرٌ فَحَرَّ الشَّتَاءِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَبَرَدُ الْهَوَاءِ. فَقِيلَ لَهَا: فَأَيُّهُمَا أَوْجَعُ وَأَفْجَعُ؟ قَالَتْ: أَمَّا صَخْرٌ فَجَمْرُ الْكَبْدِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَسَقَامُ الْجَسَدِ!

ثُمَّ أَنشَدَتْ تَقُولُ:

أَسْدَانِ مُحَمَّرًا الْمُخَالِبِ نَجْدَةَ
بَحْرَانِ فِي الزَّمَنِ الْغَضُوبِ الْأَنْمَرِ
قَمْرَانِ فِي النَّادِي رَفِيعًا مُحْتَدِ
فِي الْمَجْدِ فَرَعَا سُودِدِ مُتَخَيَّرِ
وَقَدْ عَاشَتْ أَكْثَرَ عُمْرَهَا فِي الْعَهْدِ الْجَاهِلِيِّ، وَأَدْرَكَتِ
الْإِسْلَامَ، فَأَسْلَمَتْ، وَوَفَدَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ قَوْمِهَا
بَنِي سُلَيْمٍ.

اشتهرتُ الْخَنْسَاءُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بِإِيمَانِهَا الْعَظِيمِ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ، وَجِهَادِهَا فِي سَبِيلِ نُصْرَةِ الْحَقِّ؛ فَقَدْ شَهِدَتْ مَعْرَكَةَ
الْقَادِسِيَّةِ سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةٍ لِلْهَجْرَةِ وَمَعَهَا أَوْلَادُهَا الْأَرْبَعَةُ.
وَفِي لَيْلَةِ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ.. قَالَتْ الْخَنْسَاءُ لِأَوْلَادِهَا فِي أَوَّلِ
الْلَيْلِ: يَا بَنِي إِنْكُمْ أَسْلَمْتُمْ طَائِعِينَ وَهَاجِرْتُمْ مُخْتَارِينَ، وَاللَّهُ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْكُمْ لَبَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ، كَمَا إِنْكُمْ بَنُو امْرَأَةٍ
وَاحِدَةٍ، مَا خُنْتُ أَبَاكُمْ، وَلَا فَضَحْتُ خَالَكُمْ، وَلَا هَجَنْتُ
حَسْبَكُمْ، وَلَا غَيَّرْتُ نَسَبَكُمْ. وَقَدْ تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ
لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الدَّارَ الْبَاقِيَةَ خَيْرٌ
مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ؛ يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾
 [آل عمران: ٢٠٠]. فإذا أصبحتُم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا
 إلى قتالِ عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائِهِ مُستنصرين،
 وإذا رأيْتُم الحربَ قد شَمَرَتْ عن ساقِها، واضطربتْ لظى
 على سيقِها، وجُلَلَتْ ناراً على أرواقِها، فتيَمِّموا وطيسِها،
 وجالِدوا رئيسِها عندَ احتدامِ خَميسِها (جيشِها)، تظفروا
 بالغنمِ والكرامةِ في دَارِ الخُلْدِ والمقامةِ.

فخرجَ بنوهاً قابلينَ لنصحِها، وتقدموا فقاتلوا وهم
 يرتجزونَ شِعْرَ الحماسةِ والبطولةِ، وأبلوا بلاءَ حسناً، حتى
 استشهدوا جميعاً في أرضِ المعركةِ.

ولمّا وصلَ خُبرَ استشهادِ الأبناءِ الأربعةِ لأُمِهِم الخنساءِ،
 قالتُ: الحمدُ لله الذي شَرَّفني بقتلِهِم في سبيلِهِ، وأرجو من
 رَبِّي أن يجمعني بهم في مُستقرِ رحمتهِ.

فكان عُمرُ بن الخطَّابِ - رضي الله عنه - يُعطي لها
 أرزاقَ أولادِها الأربعةِ، لكلِّ واحدٍ مائتا درهم، حتى قبُضَ.

تلكَ هي الخنساءُ المؤمنةُ القويَّةُ التي حوَّلَ الإسلامُ
 حياتِها، وصنَعَ الإيمانُ منها نموذجاً جديراً بأن يُحتذى، فها
 هي ذِي في الجاهليةِ قالتُ حينَ قُتلَ أخوها صخرُ:

أَلَا يَاصْخَرُ لَا أَنْسَاكَ حَتَّى
أَفَارِقَ مُهْجَتِي وَيُشَقَّ رَمْسِي
يُذَكِّرُنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا
وَأُبْكِيهِ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي

عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَفِي الْإِسْلَامِ، تُضَحِّي بِفِلذَاتِ كِبْدَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَلَا
عَجَبُ فِي الْأَمْرِ، فَهَذَا هُوَ حَالُ الْإِسْلَامِ دَائِمًا مَعَ مَعْتَنِيهِ
وَمَحِبَّتِهِ، يَحِيلُ حَيَاتِهِمْ إِلَى فَضَائِلَ، وَيَغْرُسُ فِيهِمُ الصَّبْرَ
وَالْإِيمَانَ، وَيُعِينُهُمْ عَلَى التَّسَامِي عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْمَحَنِ.
وَذَاتَ مَرَّةٍ دَخَلَتِ الْخَنَسَاءُ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَعَلَيْهَا صِدَارٌ (ثَوْبٌ يُغَطِّي بِهِ الصَّدْرُ)
مِنْ شَعَرٍ.

فَقَالَتْ لَهَا: يَا خَنَسَاءُ! هَذَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ.
فَقَالَتْ: مَا عَلِمْتُ، وَلَكِنْ هَذَا لَهُ قِصَّةٌ؛ زَوَّجَنِي أَبِي
رَجُلًا مُبَذِّرًا، فَأَذْهَبَ مَالَهُ، فَاتَيْتُ إِلَى صَخْرٍ، فَقَسَمَ مَالَهُ
شَطْرَيْنِ، فَأَعْطَانِي شَطْرًا خِيَارًا، ثُمَّ فَعَلَ زَوْجِي ذَلِكَ مَرَّةً

أُخْرَى، فَقَسَمَ أَخِي مَالَهُ شَطْرَيْنِ، فَأَعْطَانِي خَيْرَهُمَا، فَقَالَتْ
لَهُ امْرَأَتُهُ: أَمَا تَرْضَى أَنْ تُعْطِيَهَا النِّصْفَ حَتَّى تُعْطِيَهَا الْخِيَارَ؟
فَقَالَ:

وَاللَّهِ لَا أَمْنَحُهَا شَرَّهَا

هِيَ الَّتِي أَرْحَضُ عَنِّي عَارَهَا

وَلَوْ هَلَكْتُ خَرَقْتُ خِمَارَهَا

وَاتَّخَذْتُ مِنْ شَعْرِ صَدَارِهَا

وَقَدْ حَفِظْتُ الْخَنَسَاءُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَعْرُوفَ أُخِيهَا

صَخْرَ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ، فَقَدْ رُوي أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى أَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَوْمًا.. فَرَأَى عُمَرَ

فِي وَجْهِهَا نَدُوبَ (أَثَرَ خُطُوطِ سَوْدَاءَ)، فَسَأَلَهَا: مَا هَذِهِ

النَّدُوبُ يَا خَنَسَاءُ؟ قَالَتْ: مِنْ طَوْلِ الْبُكَاءِ عَلَى أَخِي.

فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: أَخَوَاكِ فِي النَّارِ! فَقَالَتْ: ذَلِكَ أَطْوَلُ لِحْزَنِ

عَلَيْهِمَا، إِنِّي كُنْتُ أَشْفَقُ عَلَيْهِمَا مِنَ الْقَتْلِ، وَأَنَا الْيَوْمَ أَبْكِي

لَهُمَا مِنَ النَّارِ.

* * *

الشيَماءُ

كانتُ الشيَماءُ أكبرَ أولادِ السيدةِ حَلِمةِ السعديةِ ، فلمَّا
أخذتُ حَلِمةُ النبي ﷺ وهو صَغيرٌ إلى ديارِ بني سَعد ، كانتُ
الشيَماءُ تلاعبهُ ، وتقولُ لَهُ :

يَارَبَّنَا أَبْقِ لَنَا مُحَمَّدًا حتى أراهُ يافعاً وأمرداً
ثُمَّ أراهُ سيِّداً مسوداً واكبتُ أعاديه مَعاً والحُسداً

وأعطه عِزًّا يدومُ أبداً

وكانَ أبو عُروة الأَزدي إذا أنشدَ هذا يقولُ : مَا أحسنَ
مَا أجابَ الله دعاءها !

إنَّها الشيَماءُ «حُذافة بنتُ الحارثِ» - رضي الله عنها -
أختُ النبي ﷺ من الرضاعة... وحاضنتُهُ مع أمها حَلِمةِ
السعديةِ - رضي الله عنها -.

أحبَّتُ الشيَماءُ أخاها رَسولَ اللهِ ﷺ ، وتابعتُ أخبارَهُ
أولاً بأوّل ، وسمعتُ بدعوته حين بُعثَ فصدقتهُ وناصرتهُ ،
حيث رأتُ في دعوته السَلامَ والأَمَنَ والحبَّ والتسامحَ
والإخاء...

ولمَّا أغارتُ خيلُ رَسولِ اللهِ ﷺ على هَوازن (قبيلة
الشيَماء) ، وهُزمَ بنو سَعد ، كانتُ فيمنَ أخذَ من السَّبي ،

وكانت قد كبر سنّها، وضعف جسمها وتغيرت ملامحها كثيراً، فقالت لمن أسرها من المسلمين: أنا أخت صاحبكم. فلما قدموا بها، قالت: يا محمد! أنا أختك. وعرفته بعلامة عرفها، فرحب بها وبسط لها رداءه فأجلسها عليه، ودمعت عيناه، فقال لها: «إن أحببت أن ترجعي إلى قومك أو صلتك، وإن أحببت فأقيمى مكرمة محبة». فقالت: بل أرجع. فأسلمت وأعطاه النبي ﷺ نعمة، وغلاماً، وجارية؛ إكراماً لها [ابن هشام].

ولما توفي رسول الله ﷺ ارتد قومها (بنو سعد) عن الإسلام، فوقف موقفاً شجاعاً، تدافع عن الإسلام بكل جهدها؛ حتى أذهب الله الفتنة عن قومها.

وكانت - رضي الله عنها - كثيرة العبادة والتسك، واشتهرت بشعرها الذي ناصرت فيه الإسلام ورسوله، وظلت تُساند المسلمين وتشد من أزرهم حتى أتاها اليقين.

* * *

أُمُّ ذُرٍّ

رُوي أَنَّ زَوْجَهَا قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى صَنَمٍ كَانَ عِنْدَنَا نَقُولُ
لَهُ نُهْمٌ، فَأَتَيْتُهُ فَصَبَبْتُ لَهُ لَبَنًا وَوَلَيْتُ، فَإِذَا كَلْبٌ يَشْرَبُ ذَلِكَ
اللَبَنَ، فَلَمَّا فَرَّغَ رَفَعَ رِجْلَهُ، فَبَالَ عَلَى الصَّنَمِ، فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ:
أَلَا يَا نُهْمُ إِنِّي قَدْ بَدَأَ لِي

مَدَى شَرَفٍ يُعَدُّ مِنْكَ قَرِيبًا
رَأَيْتُ الْكَلْبَ سَامَكَ حَظًّا خَسَفَ

فَلَمْ يَمْنَعْ قَفَاكَ الْيَوْمَ كَلْبًا
فَسَمِعْتَنِي أُمُّ ذُرٍّ فَقَالَتْ:
لَقَدْ أَتَيْتَ جُرْمًا وَأَصَبْتَ

عَظْمًا حِينَ هَجَوْتَ نَهْمًا
فَأَخْبَرْتُهَا الْخَبَرَ فَقَالَتْ:
أَلَا فَأَبْغَنَا رَبًّا كَرِيمًا

جَوَادًا فِي الْفَضَائِلِ يَابَنُ وَهَبٍ
فَمَا مَن سَامَهُ كَلْبٌ حَقِيرٌ
فَلَمْ يَمْنَعْ يَدَاهُ لَنَا بِرَبٍّ

فَمَا عَبْدُ الْحَجَارَةِ غَيْرُ غَاوٍ

رَكِيكَ الْعَقْلَ لَيْسَ بَذِي لَبٍّ

فَلَمَّا حَكَيْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَبَسَّمَ وَقَالَ: «صَدَقْتُ
أُمُّ ذَرٍّ، فَمَا عَبْدُ الْحَجَارَةِ غَيْرُ غَاوٍ» [ابن حجر في الإصابة].

هَذِهِ أُمُّ ذَرٍّ، أَدْرَكْتُ قَبْلَ إِسْلَامِهَا أَنَّ الصَّنَمَ لَا يَنْفَعُ
وَلَا يَضُرُّ، فَإِنَّهُ حَجَرٌ أَصَمٌ، وَأَنَّهُ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ لَهَا رَبٌّ كَرِيمٌ
عَظِيمٌ فِي فِضَائِلِهِ.

تَرَكْتُ دَارَهَا فِي قَبِيلَتِهَا غِفَارَ، وَسَعَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ
زَوْجِهَا، الَّذِي أَخْلَصْتُ لَهُ، وَتَحَمَلْتُ الْمَشَقَّاتَ وَالْمَتَاعِبَ
الَّتِي فَاقَتْ طَاقَتَهَا لِأَجْلِهِ.

سَمِعْتُ مِنْ زَوْجِهَا مَا تَعَلَّمَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَعَلَّمَا
مِنْهُ الْحِكْمَةَ وَالْأَخْلَاقَ الْكَرِيمَةَ، وَكَانَ دَائِمًا يَقُولُ لَهَا: عَلَّمَنِي
خَلِيلِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَلَوْ كَانَ مُرًّا.

وَقَدْ تَمَسَّكَ بِالتَّعَالِيمِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَعَضَتْ عَلَيْهَا
بِنَوَاجِذِهَا، وَلَمْ تَضَعْفْ أَمَامَ مَا تَعَرَّضَ لَهُ زَوْجُهَا، فَيُرْوَى أَنَّهُ
حِينَ سَافَرَ إِلَى دِمَشْقَ وَجَدَ النَّاسَ يَمِيلُونَ إِلَى الدُّنْيَا مِيلًا
عَظِيمًا، وَيُرْكَنُونَ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ

- رضي الله عنه - والي دمشق يومئذ، ودخل معه في حوار ساخن وعاصف، أدى إلى أن شكاه معاوية لدى الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فقال زوجها لعثمان: أتأذن لي في الخروج من المدينة؟ فأذن له، فنزل منطقة تسمى الربذة، وبنى بها مسجداً، وأجرى عليه عثمان العطاء؛ وقد لحقت أم ذر بزوجها، وأقامت معه فيها، إلا أن صعوبة الحياة هنالك أدت إلى أن مرض زوجها - وكان شيخاً لا يقدر على رمضاء هذا الجو - فقامت في خدمته لاتمل ولا تتعب ولا تشكي، بل ظلت وفية له ومخلصة في إيمانها.

وفي يوم من الأيام، أدركت أن زوجها على أعتاب الموت فبكت، فقال لها زوجها: فيم البكاء والموت حق؟ فأجابته: بأنها تبكي لأنه يموت وليس عندها ثوب يسعه كفنًا. فابتسم في حنان وقال لها: اطمئني، لاتبك، فإنني سمعتُ النبي ﷺ ذات يوم وأنا عنده في نفرٍ من أصحابه يقول: «اليموتنَّ رجل منكم بفلاةٍ من الأرض تشهدُه عصابة من المؤمنين» فأريت كلَّ مَنْ كان معي في ذلك المجلس مات في جماعةٍ وقريةٍ، ولم يبقَ منهم غيري، وها أنا ذا بالفلاة أموتُ، فراقبي الطريق، فستطلع علينا عصابة من المؤمنين، فإنني والله

مَا كَذَبْتُ وَلَا كَذَّبْتُ. [ابن سعد والهيثمي]. ثُمَّ فَاضَتْ رَوْحَهُ
إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَبَيْنَمَا هُوَ مُسَجَّى عَلَى حِجْرِهَا إِذْ رَأَتْ
قَافِلَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَخَذَتْ فِي الظُّهُورِ مِنْ جَانِبِ الصَّحْرَاءِ،
وَكَانَ بَيْنَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَنَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَقَامَ بِغَسْلِهِ وَتَكْفِينِهِ
وَدَفْنِهِ، ثُمَّ وَاسَى أَهْلَهُ، وَأَخَذَهُمْ مَعَهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ فِي
الْمَدِينَةِ.

هَذِهِ هِيَ أُمُّ ذَرٍّ، زَوْجَةُ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَّارِيِّ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مَامَاتَتْ حَتَّى تَرَكَتْ لَنَا مِثَالًا عَظِيمًا فِي
الْوَفَاءِ لَزَوْجَتِهَا، وَالْإِخْلَاصِ لَهُ، وَالزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا؛ فَقَدْ ظَلَّتْ
بِجَانِبِهِ إِلَى آخِرِ حَيَاتِهِ وَأَكْرَمَتْهُ، وَظَلَّتْ تَحْرُسُهُ حَتَّى بَعْدَ
مَوْتِهِ، وَصَبَرَتْ مَعَهُ عَلَى شُظْفِ الْعَيْشِ وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ
وَعَوَائِلِ الشَّهْوَةِ، وَهَكَذَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ الْمُؤْمِنَةُ الصَّالِحَةُ؛
تُرْضِي زَوْجَتَهَا؛ كَيْ تَنَالَ رِضَا رَبِّهَا، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أُمِّ ذَرٍّ
وَأَرْضَاهَا.

* * *

عاتكة بنت زيد

أختُ سَعِيد بن زيد ؛ أحد العشرة المبشرين بالجنة،
أسلمت وهاجرت، وعُرفتُ بالبلاغة والفصاحة والجمالِ خلقاً
وخلقاً. تزوجتُ السيدةَ عاتكةُ - رضي الله عنها - أربعةَ من
الصَّحابةِ، استشهدوا جميعاً في سبيلِ الله، وهذا ما جعلَ
عبدالله بن عمر رضي الله عنهما - يقولُ: مَنْ أرادَ أن يموتَ
شهيداً فليتزوجها.

وكان أولُ مَنْ تزوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق،
فشغلته يوماً عن الصلاة والتجارة والمعاش فأمره أبو بكر أن
يطلقها، فطلقها عبدالله تطلقاً، فتحوّلت إلى ناحية في الدارِ،
فبينما أبو بكر - رضي الله عنه - يُصلي على سطح الدارِ في
الليلِ إذ سمعه يذكرها بقوله:

لَهَا خُلُقٌ جَزَلٌ ورأيٌ ومنطقٌ

وخلقٌ مَصُونٌ في حَيَاءٍ ومصدقٌ

فَلَمْ أرَ مِثْلِي طَلَّقَ اليَوْمَ مِثْلَهَا

ولا مِثْلَهَا في غيرِ شيءٍ تُطَلَّقُ

فجاء إليه ورقَّ له، فقال: يَا عَبْدَ اللَّهِ، راجعُ عاتكة.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ رَاجَعْتُهَا. وَأَعْتَقَ غُلَامًا لَهُ
اسْمُهُ «أَيْمَن» لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَعْطَى عَاتِكَةَ حَدِيقَةً لَهُ حِينَ
رَاجَعَهَا عَلَى أَنْ لَا تَتَزَوَّجَ بَعْدَهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الطَّائِفِ أَصَابَهُ
سَهْمٌ، فَمَاتَ مِنْهُ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى

أَكْرَأَ وَأَحْمَى فِي الْهِيَاجِ وَأَصْبَرَا

ذَا شُعَّتْ فِيهِ الْأَسِنَّةُ خَاضَهَا

إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتَرَكَ الرُّمَحَ أَحْمَرَا

فَأَقْسَمْتُ لَا تَنْفُكَ عَيْنِي سَخِينَةً

عَلَيْكَ وَلَا يَنْفُكُ جِلْدِي أَغْبَرَا

ثُمَّ خَطَبَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: قَدْ
كَانَ أَعْطَانِي حَدِيقَةً عَلَى أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ بَعْدَهُ. قَالَ: فَاسْتَفْتِي.
فَاسْتَفْتَتْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: رُدِّي
الْحَدِيقَةَ عَلَى أَهْلِهِ وَتَزَوَّجِي. فَفَعَلْتُ، ثُمَّ تَزَوَّجْتُ عُمَرَ،
وَعَاشْتُ مَعَهُ، فَكَانَتْ نَعَمَ الزَّوْجَةِ الْمُطِيعَةِ الْمُخْلِصَةِ. فَلَمَّا
اسْتَشْهَدَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَانْقَضَتْ عِدَّتُهَا خَطَبَهَا الزَّبِيرُ
ابْنُ الْعَوَّامِ فَتَزَوَّجَهَا، وَقَالَ لَهَا: يَا عَاتِكَةَ، لَا تَخْرُجِي إِلَى

المسجد. فقالتُ له: يَا بْنَ الْعَوَّامِ، أَتُرِيدُ أَنْ أَدَعَ لغيرِكَ مُصَلًى، صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ؟ قَالَ: فَإِنِّي لَا أَمْنَعُكَ. فَلَمَّا قُتِلَ الزَّيْبُرُ قَالَتْ فِيهِ شِعْرًا تَرْتِيهِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا تَزَوَّجَهَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، فَاسْتَشْهَدَ - أَيْضًا - فَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ خَدَّهُ عَنِ التَّرَابِ، وَقَالَتْ تُرْتِيهِ:

وَحُسَيْنًا فَلَا نَسِيتُ حُسَيْنًا

أَقْصَدْتُهُ أَسَنَّةُ الْأَعْدَاءِ

غَادَرُوهُ بِكَرْبَلَاءَ صَرِيْعًا

جَادَتِ الْمُزْنَ فِي ذُرَى كَرْبَلَاءَ

ثُمَّ تَأَيَّمْتُ، وَيُقَالُ: إِنَّ مَرَّوَانَ خَطَبَهَا بَعْدَ الْحُسَيْنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأَتَّخِذَ حِمًى بَعْدَ ابْنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتُوفِيتُ - رَحِمَهَا اللَّهُ - سَنَةَ أَرْبَعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ.

*** **

سلسلة أشهر النساء

- ١ - أمهات المؤمنين
- ٢ - أمهات النبي ﷺ
- ٣ - بنات النبي ﷺ
- ٤ - أشهر النساء
- ٥ - أشهر الشهيديات
- ٦ - أشهر الزاهدات
- ٧ - أشهر الخطيبات
- ٨ - أشهر المجاهدات
- ٩ - أشهر الفقيهات
- ١٠ - أشهر الشاعرات